

محاضرة / دراسات في فلسفة الرسم العالمي محاضرة ٦ الكورس الاول

فلسفة الفكر العلائقي عند لايبنتز:

وإذا كان لـ(ديكارت) الفضل في تأسيس الاطر الفلسفية للحدائثة بتأكيده على ذاتية الفرد (الكوجيتو) كأساس للحقيقة واليقين، فإن (لايبنتز)* هو أول من أسس الحدائثة الفلسفية على مبدأ (العقلانية)، ومبدأه القائل (لكل شيء سبباً معقولاً)، أي أن "الإنسان في هذا العصر تحول من (متأمل) للكون ومعجب به إلى منقب عن أسراره وباحثاً له عن أسباب معقولة ومميزاً إياها عن الأسباب غير المعقولة حتى تفتحت إمامه أبواب العلم الحديث فصار يجد فيه ما يمهده بمعرفة أسرار الموجودات ويمنحه سلطة على الكون ويستعين به على الغاز الميتافيزيقا القديمة"^١. بعد (لايبنتز) من الفلاسفة الذين اثروا في ظهور الفكر الحدائثي وتيارات التحديث في الحياة الأوروبية من خلال مقولاته الفلسفية حول (المونادات)** (أي جوهر الشيء)، والسبب الكافي لوجود هذه المونادات في الزمان والمكان، ويرى ان هناك جوهرأ واحداً هو (الله) سبحانه وتعالى، ويرى ان الكون تؤلفه أعداد غير منتهية من المونادات يشكل أي منها نقاطاً من القوة والفاعلية بحيث ليس هناك أي صلة بين بعضها مع البعض الآخر وفي ذات الوقت فهي تعكس بعضها البعض^٢. ففي الفلسفة الحديثة لم تعد وحدة الذات بتصورها حاملاً إلا لوحدة الوعي وتأكيد هذا الوعي ذاته أكثر وأكثر بوصفه ذاتاً للموضوع، ومثل هذه الذات مرتبطة بالموضوع كما اتضح ذلك عند (لايبنتز) فانه يبرز أيضاً في كوجيتو (ديكارت) حيث يقف الوعي بذاته بكلية تابعة لبداية الفكرة الواضحة والتمتيزة، وهنا ومن "خلال هذه الفلسفة الديكارتية وفلسفة لايبنتز يتأسس نوع من النقد للذات وللعالَم معاً ضد الفكر والسبب الكافي ويشير إلى غياب التأمل الذي سبق جديد هذه الفلسفة"^٣.

واخذ الإنسان يغزو الكون بتساؤلاته بدل الاعتماد الكلي على الغاز الميتافيزيقيا، وبعقلانية (لايبنتز) تحددت ثمة انعكاسات مهمة على الفلسفة من أهمها، ان العلم صار نموذج القول الفلسفي وقوة له فالعصور الوسطى حددت توجهات العلم وهنا صار العلم هو الموجه، ثم ان هذه العقلانية أدت بدورها أيضاً إلى ظهورها مفهوم "الكلية" وهو ما يعني النظرة الشاملة العامة للأشياء على أساس ان العالم يتكون من جواهر أو مونادات لا متناهية، فصار مفهوم (الكلية) مقياساً للفلسفة ألحقه ومدى شموليتها^٤.

ساهمت أفكار(لايبنتز) في ترسيخ قيمة العلم وفق أسسه التجريبية، فالعلم بدأ ثمره رئيسية من ثمار العقلانية التجريبية مع لـ(يبنتز) وغاية الحدائثة هي بناء مجتمع عقلاني وهذا يعني أن الحدائثة هي حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل وتسوده العقلانية، وبعبارة أخرى الحدائثة وضعية اجتماعية وحضارية تجعل من العقل والعقلانية المبدأ الأساسي الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية والاجتماعية وهذا يقتضي وجود حالة رفض لجميع العقائد والتصورات وأشكال التنظيم الاجتماعي التي لا تستند إلى أسس عقلية أو علمية "فالتطور التاريخي للمجتمع خاضع بالضرورة لاعتبارات عقلانية تضبط أتساقيتها، لذلك يبدو المجتمع الغربي الحديث توافقاً للحرية وأكثر طلباً للتححر"^٥.

يؤكد (الآن تورين) على التماسك الوثيق بين الحدائثة الغربية وقدرة (العقلانية) في المجتمع الغربي بقوله "فالحدائثة تُصور المجتمع على أنه نظام يخضع للعقل بوصفه الأداة الوحيدة لتحرير الطبيعة الإنسانية من جميع السلطات المحيطه به، وبوصفه أيضاً المبدأ الوحيد لتنظيم الحياة الفردية والجماعية، من أجل تحقيق التجرد من كل تحديد للغايات النهائية"^٦.

* لايبنتز Leibnitz (١٦٤٦-١٧١٦): فيلسوف الماني، كان والده استاذ الفلسفة الاخلاقية في جامعة (ليبزج)، كان رياضياً وعالمياً من الطراز الاول، وشاطر(نيوتن) شرف اكتشاف اللامتناهيات في الصغر واهتم بفكرة الطاقة الحركية في علم الميكانيكا وهو صاحب مذهب فلسفي عقلي: ينظر الموسوعة الفلسفية المختصرة، مصدر سابق، ص٢٢٦-٢٢٧.

١ - باروت، محمد جمال: الدولة والنهضة والحدائثة، ط٢، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٤، ص٨٢.
** المونادات (Monads): احدى المبادئ الفلسفية التي اعتمدها (لايبنتز) حيث يصفها بانها جوهر الشيء اوحقيقته، ويعتبرها مستقلة عن بعضها ويأتي تغييرها وفق استقلالية ودون تبدل في أجزائها بأخرى، لان المونادات لا تحتوي على أجزاء بل تمتلك تعدداً في جوانبها، وهذا التعدد هو إدراك يسميه (لايبنتز) بـ (الإدراك الواعي) الذي يميز الكائن البشري وإدراكه عن إدراك الكائنات الحيوانية والنباتية الأخرى، ولا وجود لمونادتين متشابهتين حيث تؤلف المونادات عالماً متسقاً متنوعاً ومنسجماً في وقت واحد أساسها الله سبحانه، الذي يمثل سبباً لوجودها وسبب طبيعتها، ويتخذ مبدأ السبب الكافي الذي يعلل سبب وجود الكائنات والظواهر ويحدد (لايبنتز) لذلك أربع ظواهر أو أربعة براهين مهمة تؤكد ان ليس هناك واقعة حقيقية أو عبارة صادقة إلا بوجود سبب كافٍ لكونها كما هي لا على نحو آخر. ينظر: متي، كريم: الفلسفة الحديثة - عرض نقدي، دار الكتاب الجديد، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٣٢ - ١٣٦.

٢ - متي، كريم: الفلسفة الحديثة - عرض نقدي، دار الكتاب الجديد، ط٢، بيروت، ٢٠٠٠، ص ١٢٧ - ١٢٨.
٣ - فاتيما، جيانى: نهاية الحدائثة، ترجمة: د. فاطمة الجبوشي، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨، ص ٥٠.
٤ - محمد الشيخ وياسر الطائي، مقاربات في الحدائثة وما بعد الحدائثة، مصدر سابق، ص ١٣ - ١٤.
٥ - عبد النور، ابن داود: المدخل الفلسفي للحدائثة تحليلية نظام تظهري العقل الغربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الأختلاف، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١١..
٦ - تورين، الآن، المصدر السابق، ص ٤١.

دراسات عليا / دكتوراه رسم (محاضرات دراسات في فلسفة الرسم العالمي) مدرس المادة/ ا.د. تحرير علي ٢
إضافة إلى ما قدمه الفيلسوف الألماني (فرنسيس بيكون ١٥٦١-١٦٢٦)* في تأكيده على فعل التجربة العلمية، وعدها مصدراً أساسياً للمعرفة، ووجد ضرورة استبدال (النموذج القديم)** ، بالمنهج الاختباري التجريبي، وبذلك ادخل (بيكون) تغييراً جوهرياً على النموذج الفلسفي نتج عنه تطور كبير، بتأكيده على ضرورة وجود أدوات مناسبة لدراسة الطبيعة، وهو "يرى بأن الأسنان في الأصل فاعل ومجرب، ومن ثم فإن فعله وتجاربه هي دليل على وجوده"^٢.

صاغ (بيكون) بنظرته المنهجية الاستقرائية، الاتجاه التجريبي، ليكون خطة علمية لإصلاح العلم وتجديده، ويتأسس ذلك من خلال الفكرة القائلة " إن المعرفة ينبغي إن تثمر في أعمال وان العلم ينبغي ان يكون قابلاً للتطبيق في الصناعة وان يكون اساساً متيناً يبني عليه التفكير الفلسفي، بأن يتجه التفكير نحو الواقع ويتخذ من التجريب واساليبه المختلفة اداة له "^٣. متوصلاً الى ان المصدر الوحيد لمعرفة الحقائق الخارجية هو الملاحظة والتجربة .

بقدم الحداثة أصبح (العقل/عقل الكائن الإنساني)* هو النموذج الأمثل الذي يجب ان يتبع من اجل تحقيق التقدم المستمر والتحرر الدائم في كافة مجالات الحياة الحديثة ومنها الفن ففي الوقت الذي شهد فيه العصر تنامي وسائل العلم والثقافة والتكنولوجيا، تزايدت دعوات التجديد والتجريب على مستوى النتاجات الفنية التي مثلتها التيارات الفنية الحديثة لاسيما (التكعيبية**) وهي من أكثر الحركات الفنية التي شكلت بعداً ثورياً في مجال الفن والجمال الحدائي ، وهي على حد تعبير (د.عاصم عبد الأمير) " أهم الحركات الفنية التي قبض لها إن تلعب دوراً تاريخياً لعلهُ يماثل اكتشاف المنظور أبان عصر النهضة "^٤.

* فرانسيس بيكون(١٥٦١-١٦٢٦) : هو واضع اساس (المنهج التجريبي الاستقرائي) الذي يعد اساس شريعة (العلم الحديث) وذلك من خلال كتابة (الأرجانون الجديد) الذي نشره عام ١٩٦٠. وهو جزء من عمل ضخم سماه بيكون الاحياء العظيم وضع تخطيطه في ستة اجزاء.

** كانت بدايه التحول الى مرحلة العلم الجديد بعد الثورة العلمية التي ادت الى تحول في الفكر العلمي على يد (غاليليو)، الذي قلب النظام التقليدي للعلم بتطبيقه للطريقة العلمية التي تعتمد مشاهدة الظواهر وتفسيرها بطريقة تجريبية ولغة رياضية، هذا التحول قاد العلماء والفلاسفة في القرن السابع عشر الى ان يغيروا آراءهم تجاه الكثير من الموضوعات الجوهرية، ويشنوا ثورة على السطوة التي يمارسها (نموذج المنطق الأرسطي) السائد آنذاك، بعدما وجدوا ان ما توصلوا اليه في ابحاثهم ودراساتهم، يختلف مع ما لديهم من معطيات، وهو سبب كفيلاً بان يؤدي الى تغير النموذج التقليدي وظهور نموذج جديد لذا جاءت دعوة (فرانسيس بيكون) التجديدية استكمالاً لمبادئه غاليليو - في التخلي عن النموذج القديم، عندما قدم أسباباً تثبت عدم جدواه ونفعه وعليه وجد ضرورة استبدال النموذج القديم ، بالمنهج الاختباري التجريبي، وبذلك ادخل (بيكون) تغييراً جوهرياً على النموذج الفلسفي نتج عنه تطور كبير ينظر: هامبشر ، ستيوارت : عصر العقل ، ت ناظم طحان ، دار الحوار ، سوريا ، ط٢ ، ١٩٨٦ ، ص١٨ .

٢ - سعيد ، جلال الدين: ميلاد العقل ميلاد الحداثة، الجمعية التونسية للدراسات والنشر، تونس، ١٩٩٥، ص٨١.

٣ - حبيب الشاروني ، فلسفة فرنسيس بيكون ، دار الثقافة ، المغرب ، ١٩٨١ ، ص ٢٧ .

* عقل: هو ملكة المعرفة العليا والمبادئ والاستنباط والتفكير في موضوعات العياني . للمزيد ينظر: الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ص٥٣٧ .

** التكعيبيةcubism : جاءت تسمية التكعيبية عندما كتب الناقد الفني (لويس فوكسيل) عام ١٩٠٨ تعليقه حول اعمال الفنان (جورج براك) يقول فيه (ان السيد براك اختزل كل شئى المواقع، والاشخاص، والبيوت، وجعلها تخطيطات هندسية...، فمكعبات) وهنا بالذات سُنت الكلمة الدالة التي قدر لها ان تصف هذا الاتجاه بالتكعيبية ، والتكعيبية هي حركة فنية فرنسية الاصل بدأت عام ١٩٠٧ . ينظر: مولر، جي أي، وفرانك ايلغر: مئة عام من الرسم الحديث، مصدر سابق، ص٧٩.

٤ - الأعسم، عاصم عبد الأمير، جماليات الشكل في الرسم العراقي الحديث، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية الفنون الجميلة، فنون تشكيلية، اشراف: ا.د. ماهود أحمد، بغداد، ١٩٩٧، ص٧٨ .